

دم القضاة الأربعة بعنق دولة الطائف

النياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقة العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

في ٨ حزيران سنة الـ ٩٩ اهتز وطن الأرز من أقصاه لأقصاه من غضب وقهر أهله وسخطهم واستنكارهم لما أصاب جسمه القضائي من أجراء وتعدٍ على قداسته. ولو كان لحجارة لبنان ألسنه يومها، لكانت صرخت بوجه المجرمين وأسيادهم مطالبة الاقتصاص منهم. يومها عم الحزن والأسى كل البيوت، وكل الناس. في ذلك اليوم المشؤوم اغتالت أيدي حاقدة رُسل العدل على قوس محكمة العدل، وفي وضح النهار تحت سمع وبصر القوى الأمنية.

في ٨ حزيران سنة الـ ٩٩ تم اغتيال أربعة من قضاة لبنان برصاص الغدر على قوس محكمة الجنايات بمدينة صيدا وهم يقومون بواجبهم المقدس، واجب صيانة العدل على الأرض. امتدت أيدي المجرمين واغتالتم، واغتالت معهم ما تبقّى من عدل وأمن في وطن يزرح تحت نير الاحتلال البعثي السوري.

في الذكرى الرابعة لاغتيال القضاة الشهداء حسن عثمان، عماد شهاب، وليد هرموش، وعاصم بو ضاهر دعونا جميعاً نصلي بخشوع، ونطلب من القادر على كل شيء أن يرحم أنفسهم الطاهرة، ويسكنها فسيح جناته، وأن يلهم ذويهم ومحبيهم نعم الصبر والسلوان.

يا أهلنا في حاصبيا، يا أهل القاضي وليد هرموش. يا أهلنا في الزعرورية، يا أهل القاضي حسن عثمان والقاضي عاصم بو ضاهر. يا أهلنا في السمقانية، يا أهل القاضي عماد شهاب. يا أهلنا أينما كنتم صلوا اليوم لراحة أنفس قضائنا شهداء العدل، وتأكدوا أن عدل السماء لن ينسى هؤلاء الأبرار الذين خذلهم عدل الأرض.

أربع سنوات مرت على الجريمة البشعة، وسيف العدل ما زال بعيداً عن رقاب المجرمين وعن رقاب حُكام حرضوا ومولوا أبشع جريمة عرفها الجسم القضائي اللبناني في تاريخه المعاصر. أربع سنوات مرت والمسؤولين الأساسيين عن الجريمة مستمرين بارتكاب عشرات الجرائم بحق أهلنا وكرامتهم وحررياتهم، وبحق وطننا واستقلاله وسيادته.

القتلة المرتزقة ومنذ اليوم الأول لتنفيذهم الجريمة التجأوا إلى مخيم عين الحلوة الفلسطيني ولا يزالون فيه حتى يومنا هذا ينعمون بحماية نفس القوى التي تحتل لبنان وتتحكم بحكمه وبحكامه وتهيمن على قراره. نعم المحتل السوري هو الذي يحمي القتل، وهو الذي يمنع قوى الشرعية اللبنانية من بسط سلطة الدولة على المخيمات الفلسطينية وعلى باقي المحميات والجزر الأمنية المنتشرة في مناطق متفرقة. القتل يقيمون في مخيم عين الحلوة، حيث ينعم مئات الفارين من وجه العدالة بالحماية والرعاية البعثية والأصولية. إن الحقيقة المرة التي لا يجب أن يتعمى

عنها أي لبناني يؤمن بالعدل وبحق أهله بعيش حر وكريم في وطن سيد مستقل، هي أن هذا المخيم كما باقي المخيمات الفلسطينية والجزر الأمنية الأصولية في وطننا هي دول قائمة بحد ذاتها داخل الدولة. والحقيقة الأبعث هي أن هذا المحتل هو الذي أوجد هذه المحميات، وهو من يحميها ويحول دون فرض سلطة الشرعية عليها، لتبقى قنابل مؤقتة يستعملها كلما ازدادت عليه الضغوطات ليسحب جيشه من لبنان، ويوقف متاجرته الرخيصة بالقضية الفلسطينية والعروبة والمقاومة، تماماً كما هو الوضع الراهن الفوضوي التصادمي الذي فرضه على مخيم عين الحلوة بعد سقوط حكم البعث العراقي لتبريد استمرار الاحتلال السوري للبنان.

إن البعث السوري مستمر ومنذ سنة ١٩٦٧ بخطف لبنان وشعبه، وهو يتصرف بمصيرنا بمفهوم الرهينة والملف، بهدف عدم تغيير الوضع الإحتلالي الفوضوي الذي فرضه على وطننا ليضمن استمرارية حكمه لسوريا واستعباد الشعبين السوري واللبناني ومنع تحررهما. لقد وعدنا فخامة الرئيس في خطاب قسمه الرئاسي بدولة القانون والمؤسسات، وها نحن بعد مرور أربع سنوات ونصف على فترة حكمه نعيش في دولة مفككة في داخلها دول للفوضى والإجرام والأصولية، دولة بلا مؤسسات ودون قانون. لقد بيعت المؤسسات أو أفلست، وفي أفضل الأحوال حوّلت إلى مزارع للأزلام والمحاسيب. أما القانون فقد تم اغتياله وتحويله إلى أداة رخيصة لخدمة المحتل وأطماع وفجع واجهاته اللبنانية. لقد فرغوه من محتواه، جردوه من هالة القداسة وعهروه حتى أمسى قضاءً مسيساً واستتسابياً بامتياز، قضاء يجرم الأبرياء ويبارك للمجرمين بإجرامهم ويعمل على حمايتهم.

إن هوية ومكان إقامة قتلة القضاة الأربعة معروفة للقاصي والداني، فيما دولة الطائف وقوات المحتل السوري لا يحركون ساكناً لاعتقالهم ومحاكمتهم. ترى هل هذه هي دولة القانون والمؤسسات التي وعدنا بها فخامة الرئيس، وهو الذي بدأ مؤخراً عمله الطرودي ليضمن لنفسه فترة رئاسية جديدة؟

إن جريمة قتل القضاة الأربعة على قوس المحكمة في صيدا سوف تبقى وصمة عار على جبين كل جماعة الطائف ورموز البعث السوري من حكام وقياديين وأحزاب ورجال دين وأمن وسياسيين وقضاة، كما أن أصوات القضاة الأربعة ودمائهم الطاهرة ودموع أهلهم ستلاحق كل المجرمين والحكام حمايتهم في حياتهم ومماتهم.

إن دماء القضاة الأربعة هي بأعناق حكام الطائف ورموز دولة البعث السوري، وبعنق كل لبناني ساكت على الظلم "ومطنش". صحيح أن أهل عدل الأرض استبدوا وبطشوا وظلموا، ولكن الأصح أن عدل السماء سيبقى فوق عدلهم. إن عدل السماء هذا لن يرحمهم وسوف ينزل فيهم القصاص الذي يستحقون، ودعونا نتذكر دائماً "إن الله يُمهل ولكنه لا يهمل".